الفصل العاشر

ثقافة وأدب الأطفال
ودورهما في تشكيل وجدان الطفل

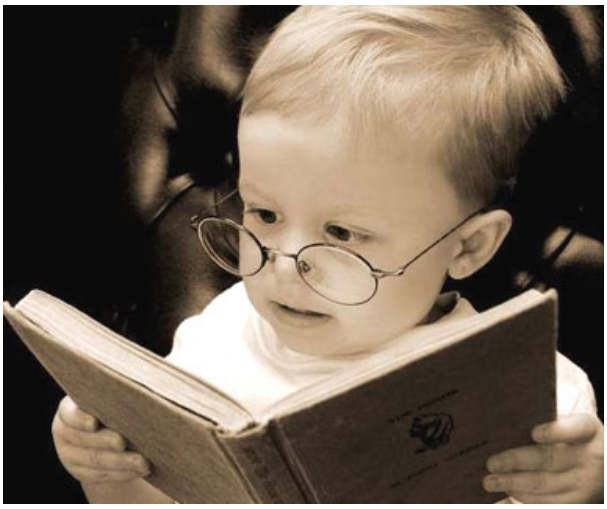

الفصل العاشر
ثقافة وأدب الأطفال
ودورهما في تشكيل وجدان الطفل

مفهوم الثقافة:

الثقافة Culture في معاجم اللغة العربية: مستمدة من الفعل ثقف، بمعنى يفيد الفهم والحذق وسرعة التعلم. وفي مختار الصحاح ورد تحديد لكلمة ثقف، بمعنى الحذق والخفة. وفي المصباح المنير وردت كلمة ثقف، بمعنى الفهم بسرعة، وتصحيح المعوج من الأمر (مدحت أبو النصر: 2008).

ويرى جل بروكس Jill Brookes الثقافة بأنها تعني الاعتقادات والعادات واقليم والأفكار التي تحكم عمل (أو عدم عمل) شيء ما (مدحت أبو النصر: 2008).

وبصفة عامة فإن الثقافة هي المعرفة العامة التي يتعارف عليها الناس في مجتمع معين وتشمل العلوم والفنون والتراث والمهارات والاتجاهات التي ينتجها المجتمع وتشكل الأسلوب السائد في الحياة. الطفل المثقف هو الذي ينال نصيبا جيدا من المعارف والعلوم والآداب.

وقد عرفت المنظمة العالمية (اليونسكو) الثقافة بقولها "أن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها على أنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات"، وعلى هذا فإن الثقافة تعني كل ما ينتجه المجتمع من نتاج مادي أو معنوي.

خصائص الثقافة:

علي الرغم مما يظهر بين الثقافات من اختلاف أو تباين إلا أن بعض الخصائص العامة لجميع الثقافات تستند إلى المفهوم العام الشامل للثقافة ومن هذه الخصائص العامة:

1- **الثقافة ذات خاصية مادية ومعنوية معا:** ثقافة المجتمع تحدد نمطاً وأسلوباً للحياة في هذا المجتمع، والعناصر المادية هي عبارة عن تلك العناصر التي أتت نتيجة للجهد الإنساني العقلي والفكري وفي نفس الوقت لا تكتسب الثقافة وظيفتها ومعناها إلا بما يحيطها من معانٍ وأفكار واتجاهات ومعارف وعادات، هذا فضلا عن أن العناصر المادية تؤثر بدورها في مفاهيم الأفراد وقيمهم واتجاهاتهم وعلاقاتهم، أي أن الإحالة متبادلة بين العناصر المادية واللامادية داخل البناء الثقافي ومن ثم فإن البناء الثقافي يشمل العنصرين معا في آن واحد.

2- **الثقافة عضوية:** إذا كانت الثقافة تشتمل علي العناصر المادية واللامادية معا فإن كلا من العناصر المادية وغير المادية يرتبط بعضها ببعض ارتباط عضويا فيؤثر كل عضو في غيره من العناصر كما يتأثر به فالنظام الاقتصادي يتأثر بالنظام السياسي والعكس صحيح كما أن النظام التعليمي يتأثر بالنظامين معا ويؤثر فيهما ومن جهة ثانية فإن العادات والتقاليد تؤثر في نظام الأسرة من حيث طريقة الزواج والعلاقة بين الكبير والصغير وإذا تغير أي عنصر من هذه العناصر فإنه سيتبعه تغيرا حتميا في النظم الأخرى، أضف إلى هذا أن التغير في أساليب المعيشة يتبعه تغييرا في القيم والعادات ومن ثم فإن عناصر الثقافة يرتبط بعضها بالبعض ارتباطا عضويا يتسم هذا الارتباط بالديناميكية وليس بالاستاتيكية.

3- **الثقافة مكتسبة:** فالثقافة ليست فطرية في الإنسان بل يتعلمها الأفراد وينقلونها من جيل إلى جيل ويخطئ من يذهب إلى اعتبار الثقافة فطرية فالإنسان يكتسب الثقافة منذ سنواته الأولى حتى تصبح جزءا من شخصيته كما يصبح هو عنصرا من عناصر هذه الثقافة.

4- **الثقافة تراكمية:** تتميز بعض عناصر الثقافة بالتراكم ذلك أن الإنسان يبدأ دائما من حيث انتهت الأجيال الأخرى وما تركته من تراث وبتراكم الجوانب المختلفة تتطور

بعض جوانب الثقافة وتختلف درجة التراكم والتطور من عنصر إلى آخر فمثلا تتطور اللغة تطوراً تراكمياً يأخذ طريقا غير تراكم القيم وغير تراكم التطور العلمي والتكنولوجي ومعنى هذا أن الإنسان لا يبدأ حياته الاجتماعية والثقافية من العدم وإنما يبدأ من حيث انتهت الأجيال الراشدة الحية التي ينتمي إليها ومن التراث الاجتماعي الذي يعبر عن خبرات الأجيال السابقة، فبعض عناصر الثقافة في أي مجتمع تعبر عن خلاصة التجارب والخبرات التي عاشها الأفراد في الماضي بما تعرضوا له من أزمات وما رسموه من أهداف وما استخدموه من أساليب وما تمسكوا به من قيم ومعايير وما نظموه من علاقات وتتراكم الجوانب المختلفة علي هذا النحو بطرق وصور مختلفة.

ما المقصود بالتغير الثقافي:

يقصد بالتغير Change بأنه ظاهرة اجتماعية طبيعية مستمرة لا تتوقف ولا يمكن القضاء عليها، فالمجتمع في تغير دائم مهما كانت حالته من العزلة أو البدائية. وهناك أنواع عديدة من التغير، نذكر منها على سبيل المثال: التغير الاجتماعي والتغير الثقافي والتغير الاقتصادي والتغير السياسي... ومن عوامل التغير الثقافي طبيعة الفكر الإنساني نفسه لأن الإنسان لا يكف عن التفكير ويدفعه التفكير إلى العمل بالإضافة إلى أن الاتصال بين ثقافتين يؤدي إلى التلاحم بينهما سواء كان هذا الاتصال عرضا أم مقصودا هذا بالإضافة إلى أن البعثات والمهام العلمية تعتبر إحدى الوسائل للاتصال بين الثقافات إلى جانب الثورة التكنولوجية في عالم الاتصالات أدت إلى اتصال جميع ثقافات العالم عن طريق شبكة المعلومات ووصلات الأقمار الصناعية التفاعلية والمستحدثات والاكتشافات البيئية أدت إلى تغير البناء الاجتماعي ومن ثم تغيرت ثقافة المجتمع.

أ- مفهوم التغير الثقافي:

يعرف التغير الثقافي بأنه التحول الذي يتناول كل التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة.

أما مالينوفسكي فيعرف التغير الثقافي بأنه العملية التي يتحول بمقتضاها وبدرجات متفاوتة من السرعة في النظام القائم في المجتمع وتنظيمه ومعتقداته ومعارفه وأدوات العمل فيه وأهداف المستهلكين.

كما يعرف التغير الثقافي أيضا بأنه هو التغيرات والتحولات التي تطرأ علي النظم الاجتماعية ووظائفها وتظهر عملية التغير الثقافي بشكل واضح في معرفتنا لمكونات الثقافة.

فالتغير الاجتماعي يعتبر جزءا من التغير الثقافي أو جانبا منه فحسب.

يمكن تقسيم الثقافات إلى جامدة وديناميكية متغيرة، ففي الأولى استقرار وجمود في العناصر الثقافية وفي الثانية حركة وتغير مستمر في العناصر الثقافية.

والتغير الثقافي يعني أن الثقافة تتغير وتتحرك علي شكل استجابات لحاجات الإنسان ولإرادته

ب- عوامل التغير الثقافي:

التغير الثقافي ظاهرة اجتماعية لا تخلو منها أي جماعة بشرية ويرتبط هذا التغير بعدة عوامل.

وعوامل هذا التغير إما داخلية (كالاكتشاف والاختراع وسيكولوجية في الشخصية الإنسانية أو خارجية وتكون بطريقة الانتشار، فالاختراع هو اتصال سمتين ثقافيتين أو أكثر من السمات أو الأنماط الثقافية الموجودة وتكوين شكل جديد أكبر من مجموع أجزائه والثقافة الموجودة هي: الأم الحقيقية للاختراع وهناك مخترعات مادية وأخرى اجتماعية والاختراعات المادية أسرع من اجتماعية ومن أبرز عوامل التغير الثقافي هي:

1- **التغير البيئي**: ويتمثل في تغيرات طبيعية جغرافية كالتغير في المناخ أو التغير الذي يحدثه الإنسان مثل إزالة الغابات وشق الترع وإقامة الطرق مما يؤثر في حياة الناس ونشاطهم وعلاقاتهم الاجتماعية وقد يكون التغير البيئي نتيجة الهجرة أو الاستيطان.
2- **ديناميات الأجيال**: يرى البعض أن التغير الثقافي يحدث نتيجة فعل ديناميات الجماعات العمرية المختلفة التي تقوم بخلق وإبداع أساليب حياة جديدة تتجه لاتصال الأحداث دائما بثقافة المجتمع الغالبة.
3- **التغير التكنولوجي**: لقد امتد أثر العلم إلى تطبيقاته التكنولوجية فزادت المخترعات مما أثر في حياة الناس ومستوى معيشتهم.
4- **التغير الأيدلوجي**: إن التغيرات العلمية والتكنولوجية قد فرضت علي الشعوب تحديا لواقع حياتها وقيمها ومعتقداتها فالأفكار المتطورة عن الإنسان وحقه في الحرية والعلم

والرفاهية قد حفزت الشعوب علي الأخذ بالديمقراطية كأسلوب للحياة الكريمة وعلي إيجاد الأيدلوجية السليمة التي تتناسق النظريات والأفكار والنظم مع المصالح والأغراض الاجتماعية التي تخدمها.

5- **التعليم**: يعد التعليم من العوامل التي تعجل بإحداث التغير الثقافي.

6- **وسائل الإعلام**: التغير الثقافي ثمرة من ثمرات وسائل الإعلام وإن دل ذلك علي شيء فإنما يدل علي خطورة الدور الذي تلعبه هذه الوسائل بمختلف أنواعها وذلك ما قمنا بتوضيحه سابقاً.

7- **الانفتاح علي العالم**: عن طريق وسائل الإعلام والاتصال التي غزت الأفراد في عقر دارهم وأصبح الإنسان أسيرا لها لا يستطيع الإفلات من تأثيرها ومن صورها الهجرة إلى المدن المجاورة أو البعيدة أو الدول المجاورة أو البعيدة كل ذلك يترتب عليه التعرف علي عناصر ثقافية جديدة وخبرات جديدة وطرق حياتيه تخالف ما اعتادوه في مجتمعاتهم الأصلية.

وبصفة عامة فإن ثمة عوامل تعزز عملية التغير الثقافي وتؤثر علي الأوضاع التربوية في المجتمع، ومن أهم العوامل ما يلي:

1- الدينامية الذاتية للفكر الإسلامي والرغبة المتواصلة لديه في تغير الوضع القائم ما يدفعه إلى التفكير الدائب والعمل والرغبة الشديدة في تغير الأمور للوضع الأفضل.

2- اتصال بين الثقافات يؤدي إلى تغير وتجديد ثقافي بين الثقافات المختلفة.

3- تغير العوامل البيئية قد يؤدي إلى تغير ثقافي فتحول الأرض الفالحة إلى أرض زراعية مثلا أو إزالة الغابات أو حدوث الزلازل والبراكين... الخ

من التغيرات البيئية التي يمكن أن يستتبعها تغيرا ثقافيا:

1- تؤدي الاكتشافات العلمية وغيرها من الاكتشافات إلى تغير البناء الثقافي فاكتشاف البترول أو المواد الخام أو المخترعات العلمية أو التكنولوجية أو غيرها تؤدي إلى تغير في البناء الثقافي بالمجتمع.

2- قد تؤدي العوامل الاجتماعية إلى تغير في البناء الثقافي ومن أهم هذه العوامل زيادة السكان أو نقصهم أو تغير نسبة الجنس أو التركيب العمري للسكان دي إلى خلق أنماط ثقافية معينة مرتبطة بالتغير الذي يحدث في الأوضاع الديموجرافية وذلك مثل التغير

الديموجرافي بسبب حركات الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة وحركات الهجرة من داخل البلاد إلى خارجها... الخ من التغير في الأوضاع الديموجرافية.

أما العوامل المساعدة علي نقل العناصر الثقافية فهي التجارة والحروب والغزو والزواج والصحف والراديو والسينما والتليفزيون والبعثات العلمية والدبلوماسية والأدب والزيارات والسفر والجامعات. أما **مصادر وأسباب التغير الثقافي فهي**:

1- التغير في البيئة يؤدي إلى التغير في الثقافة.
2- الاتصالات بين الثقافات المختلفة.
3- التغير يجلب معه تغيرات أخرى علي العناصر الثقافية الباقية.

الطفل والثقافة... لماذا ينفرد الطفل بثقافة خاصّة؟

إن ثقافة الطفل هي مجموعة العلوم والفنون والآداب والمهارات، والقيم السلوكية، والعقائدية التي يستطيع الطفل استيعابها وتمثُّلها في كل مرحلة من مراحل عمره، ويتمكّن بواسطتها من توجيه سلوكه داخل المجتمع توجيها سليما.

إذن ثقافة الطفل هي إحدى الثقافات الفرعية في أي مجتمع، وهي تنفرد بمجموعة من الخصائص والسّمات العامة... ثم إن الأطفال لا يشكّلون مجتمعا متجانسا، بل يختلفون باختلاف أطوار نموّهم في هذا المجتمع الواحد، فما بالك إذا اختلفت المجتمعات وتباينت البيئات، لذا قُسّمت الطفولة إلى مراحل متعاقبة ومتداخلة في بعضها البعض وكل مرحلة تؤثر في الأخرى أيّما تأثير سلبا أو إيجابا.. لكل منها ثقافة خاصّة تتوافق مع خصائص وحاجات الطفل في تلك المرحلة الطفولية.

علاقة الثقافة بتربية الطفل:

1- إن المؤسسة التربوية هي عامل من عوامل التثقيف الرسمية لنقل التراث الثقافي.

2- العملية التربوية نفسها هي أحد العناصر الثقافية أو هي بذلك الجزء المصقول من ثقافة شعب معين.
3- العملية التربوية هي أحد جوانب تعزيز التراث الثقافي.
4- التربية تساعد علي التغير بإضافة مخترعات حضارية جديدة.
5- التربية تقوم بعامل التوعية في المجتمع بناءا علي ما لدى المجتمع من تراث.
6- التربية هي الوعاء الذي يحتوي علي المضمون الثقافي لفئة معينة.

فإذا كانت الثقافة بالنسبة للفرد مرادفة لشخصيته وبالنسبة للمجتمع مرادفة للشخصية القومية فإن معنى ذلك أنه لا وجود للثقافة بدون التربية وذلك لأن من سمات الشخصية النمو وأنه لا يوجد نمو بدون تربية.

فالتربية هي وسيلة المجتمع في تحقيق فردية المواطن وجماعته، فهي تعمل علي تنمية قدرات الفرد وإكسابه مهارات عامة وتهذيب سلوكه وميوله وتقوية الجانب الإيماني لديه وصقل فطرته للعيش والتكيف مع البيئة المحيطة به.

أهمية الثقافة التربوية للطفل القائد:

إن الثقافة التربوية الموجهة سلوكياً تكون ذات أثر بالغ في تحسين البناء النفسي والوجداني للطفل القائد وذلك لأنها تقوم بما يلي:

1- إمداد الطفل بمجموعة من الأنماط السلوكية التي تتعلق بإشباع حاجاته البيولوجية من مأكل ومشرب وملبس ليحافظ علي بقائه واستمراره.
2- إمداده بالمعارف التي تتيح له سبل التعاون والتكيف مع المواقف الحياتية المختلفة، كما تيسر له سبل التفاعل الاجتماعي بدون أن يحدث هناك نوع من الصراع أو الاضطراب.
3- الثقافة تقدم للطفل مجموعة مختلفة من المشكلات التي أوجدت لها الحلول المناسبة وبذلك توفر عليه الخوف من غموض المشكلات وأيضاً البحث عن حلول لها.
4- الثقافة تقدم للطفل تفسيرات مألوفة يستطيع من خلالها أن يحدد شكل سلوكه علي ضوئها فهي توفر له المعاني والمعايير التي تعينه على التمييز بين الأشياء والأحداث ومدى صحتها.

5- الثقافة تنمي لدى الطفل شعور الانتماء والولاء، فتربطه بأسرته وزملائه في المدرسة رابطة الشعور الواحد.

6- الثقافة تجعل الطفل أكثر حرصا على المواجهة وتحمل المسئوليات.

أهمية الثقافة الإيمانية للطفل:

الثقافة الإيمانية: هي مجموعة من الأفكار التي تقرب الطفل من الله سبحانه وتعالى، وتتألف من عنصرين هما:

1- المنهج الإسلامي في التفكير الذي ينظر إلى الأشياء بالطريقة القرآنية.

2- الأفكار والمعلومات الإيمانية في مجال العبادة والأخلاق، والسيرة والقرآن الكريم، والنفس البشرية والعلاقات مع الناس، وغير ذلك مما تشكل فيه المعرفة إعداداً فكرياً، للتربية الروحية، وتكوين الأحاسيس، والنمو الروحي والوجداني.

أسباب عزوف الأطفال عن اكتساب الثقافة:

تتعدد أسباب عزوف الأطفال عن اكتساب الثقافة والمعرفة فقد تكون الأسباب أسرية أو مجتمعية، وفيما يلي بعض الأسباب التي تحول بين الطفل واكتساب الثقافة:

1- قلة الدافعية لدى الأطفال في اكتساب الثقافة بسبب غياب الوعي بأهمية المكتبات والمتاحف العلمية وغيرها في تنمية ثقافة الطفل.

2- غياب الدعم المادي والمعنوي في عملية تشجيع الطفل على القراءة الحرة بصورة مستمرة إما لعدم وجود القدوة الحسنة في الأسرة والمدرسة أو بسبب ضعف المتابعة والتوجيه. إن مطالبة الطفل بالبحث والإطلاع والتثقيف الذاتي يحتاج إلى توفير الأماكن والمعدات الضرورية ولا تقف الدعوة عند حد الحث والنصائح بل لا بد من توجيه جميع الطاقات والإمكانيات نحو توفير أجواء جاذبة تجعل الطفل نهما لا يشبع من مطالعة الكتب، شغوفا بالمعرفة، عاشقا للحكمة.

3- عدم تهيئة المنزل بالوسائل التعليمية المتنوعة وجمود المكتبة المنزلية بسبب عدم الاهتمام وإضافة كتب جديدة ومتنوعة تجذب الأطفال.

4- عدم التمييز بين القراءة الحرة وعمل الواجبات المدرسية، وهي نقطة مهمة جدا، فالقراءة

الحرة تعني اختيار الطفل لما يحب أن يقرأ، أما الواجب المدرسي فهو عمل مفروض على الطفل، وفي رأيي أن القراءة الحرة وحفز الطفل على الاطلاع قد يجعله حريصاً على الالتزام بعمل الواجبات المدرسية ومن الاستفادة بما يتعلمه في المدرسة.

5- ندرة المكتبات المعنية بالطفل والتي تسعى دائما لنشر الجديد والمفيد في دنيا الأطفال.

6- ابتعاد وسائل الإعلام السمعية والبصرية عن دورها الأساسي وهو التوعية والتثقيف والتمسك بنشر الثقافة الاستهلاكية (كشراء الوجبات السريعة) دون مراعاة الضوابط التربوية حتى غدت الإعلانات التجارية المملة وبرامج الأطفال التلفزيونية والمسرحية مليئة بالقيم السلبية المنافية للأخلاق الحميدة.

7- الاستغلال السلبي لوسائل التكنولوجية الحديثة (الهواتف النقالة، والحاسب الآلي....) نتيجة غياب الوعي التربوي.

8- قلة الاهتمام باللغة العربية وعدم التركيز على ضرورة إتقانها.

السبيل إلى تثقيف الطفل عبر القراءة:

تتعدد تعريفات القراءة تبعاً للزاوية العلمية والعملية التي ننطلق منها وهي في محصلتها مهارة نفسية وعقلية تقوم على تفاعل ذاتي، فالقراءة – في مخرجاتها – ثمرة لجهود مقصودة لإدراك المعاني. إن القراءة بمفهومها الواسع هي محاولة لفهم معاني ومضامين الكلمات، والصور، والأرقام في إطار عملية التعلم والتواصل ونقل الأفكار وغرس القيم والاستمتاع بالاكتشاف، فيما يلي وسائل لتثقيف الطفل عبر وسيلة القراءة الحرة:

- أن نبدأ منذ السنوات الأولى بتهيئة الأطفال وتحبيبهم بالكتب والمكتبة والمعرفة والاستكشاف.
- التدرج وفق أحوال الطفل.
- ربط المتعة بالقراءة.
- إعطاء الطفل فرصة اختيار ما يناسبه من كتب.

- حسن اختيار الأوقات والأماكن.
- تنوع موضوعات الكتب واختيار الأغلفة الجذابة.

أهداف القراءة:

للقراءة دور مؤثر في تثقيف وتوجيه الأطفال على مختلف مراحل طفولتهم. وذلك لأنها تقوم بالأتي:

- تكسب الطفل معرفة أشمل وفهماً أعمق لعالمه المادي والاجتماعي.
- تؤكد فيه احترامه لذاته ورضاه عنها وإحساسه بقيمته وجدارته باحترام الآخرين.
- تساعد في تعلم مزيد من المهارات الفكرية.
- اندماج الطفل انفعاليا مع المادة المقروءة.
- تعمل على الارتقاء بضميره وأخلاقه وتبث فيه القيم الصالحة.
- تقدم له العلم والتجربة بصورة مقنعة وجذابة.
- توفر الوقت في عملية الإرشاد النفسي.
- تعلمه أن الحب بذل وعطاء كما هو أخذ ومتعة.
- التخفف من التوتر الحيوي النفسي الاجتماعي.
- نافذة للطفل يطل منها على عالم واسع من العلم والفن والفكر.
- تقدم له المتعة والترفيه النظيف.
- تربطه بها برباط وثيق أساسه الحب والتعاطف.
- تعمل على تنمية قدرة الطفل على تحليل الاتجاهات والسلوكيات ووضع حلول بديلة للمشكلات.
- إن تعلق الطفل بما يقرأ يعوده على محاولة الاستفادة من هذه الرابطة القوية في توجيهه وتربيته.

أوعية القراءة والتثقيف:

تتعدد أساليب ووسائط وأشكال القراءة والتثقيف، فمنها الكلمة المكتوبة والمقروءة، والإذاعة المسموعة والمرئية مثل "المسرح والسينما والمتحف والمعرض"، ولعل أعمق لون من ألوان الثقافة هي الكلمة سواء كانت مكتوبة أو مقروءة، فهي أول وسيط ثقافي للإنسان

وأحب ألوان الثقافة لديه، وبما أننا نتحدث عن القراءة ودورها في تثقيف الطفل فسوف نناقش أهميتها للطفل من خلال أدب الأطفال وذلك على النحو التالي:

مفهوم أدب الأطفال وأهميته في تشكيل وجدان الطفل:

لا شكّ أن أدب الطفل من الوسائل الثقافية والتربوية المهمة التي ينبغي توظيفها بفعالية لتحقيق أغراض بيّنة ومحدّدة. وإذا كان البعض من الكُتّاب والمهتمّين بأدب الطفل ما زالوا يعتقدون أن الكتابة للأطفال هيّنةٌ، فإن هذا الاعتقاد خاطئٌ، لأن ما يُكتبُ للطفل لا يكون للتسلية والاستمتاع فحسب، بل يكون لنقل قيم وخبرات ومواقف سلوكية مختلفة، لتهذيب شخصية الطفل وبلْورة سماته الذاتية والاجتماعية ودعمه بصفات القوة، لكي يستطيع العيش بسلام في مجتمع متغير لا يخلو من التحديات، ونقصد بالتحدي هنا الصعوبات التي ستواجه الطفل مستقبلا، وتعوقه عن مسايرة التقدم والتفاعل مع مجتمع الغد، كالمتغيرات الناتجة عن التطور العلمي والتكنولوجي والعولمة وهذا لا يتحقق إلا بإعداد الأطفال الإعداد السليم الذي يمكنهم من تخطي العقبات وتحويلها إلى معابر نحو التقدم.

مظاهر الاهتمام بأدب الطفل:

نظرا للدور الذي يقوم به أدب الأطفال في تنشئة الأطفال وتعديل السلوك، وبناء الشخصية، فقد أولت الدول والحكومات العربية اهتماما خاصا بأدب الأطفال، وتمثل هذا الاهتمام فيما يأتي:

- الاهتمام بالمكتبات المدرسية وتزويدها بالأوعية المناسبة من كتب الأطفال ومجلاتهم
- انتشار مكتبات الأطفال في المدن والتجمعات السكانية والاهتمام المتزايد لتلك المكتبات بأدب الأطفال.
- اتجاه دور النشر إلى كتب الأطفال وأدبهم، وتخصص بعضها في هذا المجال.
- تعدد المسابقات الخاصة بفنون أدب الأطفال
- الاهتمام بالكتابة المتخصصة للأطفال شكلا ومضمونا.
- إنشاء العديد من مواقع أدب الأطفال على شبكة الانترنت.

كيفية توظيف أدب الطفل لتحقيق المتطلبات الروحية والخلقية:

تتعدد الطرق التي يمكن عن طريقها تحقيق الأهداف الروحية والخلقية في تربية الأطفال، ما بين طريقة الوعظ والإرشاد، والقدوة، والثواب والعقاب وغير ذلك، وتسعى لتحقيقها كثير من المؤسسات التربوية كالمدرسة ورياض الأطفال ووسائل الإعلام ودور العبادة فضلا عن الأسرة التي تعتبر هذه التربية من أهم وظائفها.

وهذه المؤسسات كافة مهما اختلفت أدوارها وطرائقها فإنها تستعين بأدب الأطفال لتحقيق أهدافها، ويعود نجاح أدب الأطفال في تحقيق هذه الأهداف ‘إلى أن أفضل أساليب التربية الروحية والخلقية هي تلك التي تقدم للطفل بطريقة غير مباشرة وغير تلقينية، وهذا الدور يقوم به أدب الأطفال، حيث يقدم القيم وأنماط السلوك المرغوبة بطريقة غير مباشرة.

ويمكن توظيف أدب الطفل لتحقيق متطلبات التربية الروحية والخلقية عن طريق:

- تقديم المواقف السلوكية التي تسهم في غرس القيم الخلقية في نفوس وعقول الأطفال عن طريق الأشكال الدرامية من قصة ومسرحية ومسلسلات وأفلام كارتون.
- تعويد الأطفال على ممارسة العبادات عن طريق كتب مبسطة للأطفال توضح لهم كيفية ممارسة العبادات، مستخدمة في ذلك كل تقنيات التشويق والإثارة التي تجذب انتباه الأطفال.
- والتراث العربي يزخر بالمواقف التي تصلح أن تحول إلى قصص أو مسرحيات للأطفال تحثهم على الأخلاق الحميدة.

ولا يخفى علينا دور القصة وأهميتها في تلبية حاجات الأطفال المختلفة، من الحاجة إلى التوجيه والحب والحاجة إلى النجاح والحاجة إلى الاستقلال، والحاجة إلى التقدير الاجتماعي، وبناءاً على هذه الحاجات المختلفة تنمي القصة جوانب النمو عند الطفل من الناحية العقلية والاجتماعية والنفسية والمعرفية، كما أنها تعرف الطفل بمجتمعه ومقومات هذا المجتمع وأهدافه ومؤسساته، من ثم فإن لها أثر بالغ في تنمية الجوانب النفسية عند الطفل وتنمية مشاعره وإحساسه وتخفيف التوترات لديه، وذلك لما فيها من الحوار والتأمل في النفس والقدوة الحسنة.

مفهوم القصة وأنواعها :

مفهوم القصة:

القصة هي: مجموعة من الأحداث التي يرويها الكاتب، وهي تتناول حدث واحد أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثر والتأثير.

هي فن أدبي إنساني تتخذ من النثر أسلوباً لها تدور حول أحداث معينة يقوم بها أشخاص في زمان ما ومكان ما، في بناءٍ فني متكامل تهدف إلى بناء الشخصية المتكاملة.

التعريف الإجرائي للقصة في نظر الباحثات: هي كل ما يكتب ويقال للأطفال لتسليتهم وتوجيههم وتنمية قدراتهم المختلفة وشغل أوقات فراغهم بما هو مفيد وممتع بالنسبة لهم.

أنواع القصة:

تتعدد أنواع القصص التي تقدم للطفل إلى درجة يصعب حصرها، وسبب هذا التعدد هو الاختلاف التي يقوم التصنيف على أساسه.

1- القصص الدينية:

هي أهم أنواع قصص الأطفال وأكثرها انتشاراً وتأثيراً في وجدان الطفل، وإذا أحسن كتابتها فمن الممكن أن تسهم في التنشئة الدينية للطفل وإكسابه المفاهيم الدينية الصحيحة، وهي تتناول موضوعات دينية، كالعبادات والعقائد وسير الأنبياء وقصص القرآن الكريم، وحياة الرسول ﷺ وأصحابه، وما أعده الله لعباده من ثوابٍ وعقاب.

فالقرآن الكريم معين لا ينضب أبداً للفن القصصي المقدم للأطفال، وهو في الوقت ذاته مصدر كريم لتغذية شخصية الطفل بالقيم النبيلة، كما يمنحهم فرصة التعلم واكتساب الخبرة، ويوقفهم على مدى المعاناة التي يتحملها الآباء والأمهات في سبيل الأبناء، ويتميز القصص القرآني بطريقته الخاصة، ونظامه البنائي المتميز، حيث أنه لا يهتم بالتفاصيل الدقيقة لأحداث القصة، ولا يهتم بتعيين أسماء شخصياتها، ولكن يعنيه أن يخلص المرء من خلال تتبعه لخيوط القصة الرئيسية، إلى العظة والعبرة، وأن تتكون لديه الرغبة في أن يبتعد عن الشر، الذي أودى بأصحابه، وان يحرص على فعل الخير، ليكون من الفالحين.

أما السنة المطهرة فتتميز بأنها:

- مصدرا مهما لأدب الأطفال، فهي تقدم غذاءً روحيًا وعقليًا وأدبيًا يسهم في تكوين شخصيته وجعلها شخصية متزنة.
- إن حفظ الأطفال للأحاديث النبوية يساعدهم على تطوير لغتهم وتنمية تفكيرهم، ونبوغ شخصياتهم، إضافة إلى ما يترتب على ذلك من تعديل السلوك وغرس القيم.
- كما أن الأحاديث النبوية للرسول ﷺ تتسم بالبلاغة والفصاحة، إضافة إلى ما تتضمنه من معاني سامية، وما تؤكد عليه من قيم نبيلة.

2- القصص العلمية:

هي القصص التي تدور أحداثها حول حدثٍ علمي أو تتناول اختراعاً من المخترعات العلمية وتسمى أيضاً بقصص الخيال العلمي وهي قصص رائعة تجمع بين الخيال والأدب والعلم في إطارٍ قصصي مشوق وجذاب. ويلاحظ أن هذه القصص تنتشر بشكلٍ واسع في البلدان الصناعية المتقدمة.

وتأتي أهمية هذه القصص للأطفال لأنها تنمي خيالاتهم وقدراتهم العقلية، فإثارة الخيال وتنميته يؤدي إلى تنمية التفكير لدى الأطفال.

3- القصص الخيالية:

إن ما يميز القصص الخيالية أنها تزرع اللبنات الأولي للتفكير عند الأطفال، كما تساعد علي تنمية حب التعلم والمعرفة لديها، خصوصا إذا تضمنت بين أحداثها موضوعات تتعلق بالخيال العلمي وهي بذلك تساعد علي نقل المجتمع نقله نوعية من خلال استبدال القصص الخرافية بأخرى مبنية علي أسس علمية منطقية.

وهناك العديد من الأفكار العلمية التي بدأت خيالا أدبيا ثم تحولت إلى واقع، فمثلا: أول حديث قصصي عن بصمة الصوت التي تفتح الأبواب جاء في قصة افتح يا سمسم في الأدب العربي عندما استخدم علي بابا هذه الكلمات لفتح باب المغارة.

ويمكن تلخيص الدور الذي تقوم به القصص الخالية في التغلب على مشكلات الأطفال فيما يلي:

- تنمية الثقافة لدي الطفل وتوسيع مداركه وخياله وتنمية قدرته علي التفكير المنطقي العلمي المرتب.
- تدعم سلوك حل المشكلات لديه بصورة كبيرة، مما يساعد علي إنضاج شخصية الطفل.

إلا أن هناك جانب سلبي في هذا النوع من القصص لا يمكن إغفاله، وهو أن الاعتماد عليه بشكل دائم قد يؤدي لإدمان الطفل لتخيل مشكلاته بصورة غير حقيقية وربما أعمق من الواقع بكثير، مما يؤثر على شخصيته ومستقبله بالكامل تأثيراً سلبياً.

4- القصص الفكاهية:

القصة الفكاهية من أحب القصص إلى نفوس الأطفال، حيث إنهم يحبون المرح والسرور، وعادةً ما يطلب الأطفال إعادتها لأنها تدخل السرور والمرح على نفوسهم.

وتكمن أهميتها لأطفالنا في ظل ما يواجهونه من ضغوطٍ في شتى جوانب الحياة، كما أنها تحبب الأطفال في القراءة وتجعلهم يقبلون عليها.

5- القصص التاريخية:

هي نوع من أنواع القصص تعتمد على الأحداث التاريخية والغزوات، فهي تعد تسجيلاً لحياة الإنسان وانفعالاته في إطارٍ تاريخي.

وتعتبر القصة التاريخية مهمة للطفل لأنها تعمل على تنمية الشعور بالانتماء والكرامة الوطنية وأيضاً تنمي روح البطولة والفخر عن طريق ما يقرؤونه من سير الأبطال العظام.

6- القصص الاجتماعية:

وهي مهمة للأطفال حيث أنهم يعيشون في مجتمع ما ويتعاملون ويتفاعلون مع هذا المجتمع، ومن الضروري أن يتعرفوا على هذا المجتمع وخصائصه ومظاهر الحياة فيه وأنواع الحرف والمهن وعاداته وتقاليده، فهي تتناول الأسرة والروابط الأسرية، والمناسبات المختلفة ومظاهر الحياة في البيئات المختلفة.

7- القصص الواقعية:

هذا النوع من القصص يناسب الأطفال في نهاية مرحلة الطفولة، لأن الأطفال يبدأون في التحرر من خيالهم نتيجةً لزيادة وكثرة اتصالهم بالمجتمع، فيميلون إلى معرفة حقيقة الحياة

المحيطة بهم والطبيعة والحيوانات والرحلات والعلوم المختلفة، ويجب أن تقدم هذه القصص بشيءٍ بسيطٍ من الخيال لتتناسب مع قدرتهم على التفكير والاستيعاب في هذه المرحلة العمرية.

أهداف القصة للطفل:

1- تنمية لغة الطفل سماعاً وتحدثاً، وقراءةً وكتابة.
2- تزويد الطفل بالمعلومات العامة والحقائق المختلفة.
3- غرس حب الوطن في نفوس الأطفال.
4- تنمية القيم الأخلاقية لديهم.
5- تنمية ثقتهم بأنفسهم عند أدائهم لأدوار القصة وسردها.
6- إدخال المتعة والسرور إلى نفوسهم.
7- تنمية حب القراءة لديهم.
8- تنمية قدرتهم على حل المشكلات والتفكير السليم.
9- التفريق بين الصواب والخطأ.

أهمية القصة للطفل:

1- القصة تعطي الطفل فرصة لتحويل الكلام المنقول إلى صور ذهنية خيالية، أي أنها تنمي خيال الطفل.
2- أنها خبرة مباشرة يتعلم الطفل من خلالها ما في الحياة من خير وشر والتمييز بين الصواب والخطأ.
3- تساعد في تقريب المفاهيم المجردة إلى ذهن الطفل من خلال الصور.
4- مصدر عام لتعلم القيم والعادات السليمة.
5- تنمي عند الطفل التذوق الفني وحب القراءة لديه وتزيد من الثروة اللغوية.
6- تساعد الطفل على النمو الاجتماعي.
7- لها دور ثقافي كبير في حياة الطفل.

8- تساعد في بناء شخصية الطفل.

9- تقدم الحلول للعديد من المشكلات التي تواجه الطفل في حياته اليومية.

10- الطفل يتفاعل مع القصة ويتوحد مع شخصياتها فمن خلال تفاعله يكتسب العديد من الخبرات والقيم والاتجاهات، كما أن القصة تنمي الجوانب (العقلية والاجتماعية والنفسية) لدى الطفل.

أثر القصة ودورها في تنمية الطلاقة اللغوية عند الأطفال:

تعمل القصة على تنمية ثروة الطفل اللغوية، وتساعد على نموه اللغوي، بما تحتويه من مفردات جديدة وعبارات جيدة، قد يحفظ بعضها، كما أنها تقوم أسلوبه وتصحح ما لديه من أخطاء لغوية، وتؤدي إلى اتساع معجمه اللغوي وتقوي قدرته على التعبير والتحدث، فالقصة من أهم مصادر الحصول على المفردات وزيادتها فهي تعرض الطفل للكلمة مباشرة من خلال رؤيتها وسماعها ونطقها، كما أنها تصحح ما علق بذهنه من كلمات عامية وتجعله يبدلها بكلمات فصيحة تناسب حصيلته اللغوية، وكلما ازداد تعلق الطفل بالقصة وتمسكه بها كلما أصبح لديه رصيد لغوي أكبر، لأن القصة تعود الطفل على القراءة وتحببه بها فيصبح الطفل شغوفاً بالقراءة يقرأ كل ما يقع بين يديه.

إن لغة الطفل تنمو من خلال التقليد، فإذا قدمنا للطفل النماذج الجيدة من القصص فسوف يقلدها في حياته اليومية وتزداد الحصيلة اللغوية للطفل من خلال كلمات القصة وعبارات اللغة العربية وتعويده النطق السليم.

والكتاب الذي يقرؤه الطفل مصدر مهم من مصادر اللغة، بالإضافة إلى المعلومات والخبرات والمتعة، وهو عالم جديد بالنسبة له، فاللغة كما هو معلوم أداة أو وسيلة تعبير واتصال وإدراك لكثير من الأشياء، لهذا نرى الطفل يلتقط الكلمات الجديدة ويرددها، لذلك نرى غالبية المربين والنفسيين يعتقدون أنه من الأفضل للطفل أن نقدم في القصة المطبوعة مزيداً من الألفاظ الجديدة تفوق مستواه الفعلي، حتى يستطيع أن يثري حصيلته اللغوية وينميها.

لذلك فإنه من الضروري عند كتابة قصص الأطفال أن تراعي سهولة الألفاظ، وقربها من مستواه العقلي، وليس معنى أن تفوق مستواه العقلي أن تكون صعبة لا يفهمها الطفل ولا تثري حصيلته اللغوية فيصاب بالإحباط فيحجب عن قراءة القصة.

فالطفل في البداية يريد ألفاظاً تحمل دلالات محسوسة يراها أو يسمعها أو يلمسها، ويصعب عليه فهم الألفاظ المجردة، فالقصة تخرج الألفاظ من صفتها المجردة إلى صفتها المحسوسة فهي تجسد الألفاظ في صورة حكايات وأحداث يفهمها الطفل فتصبح محببة إلى نفسه فتنال إعجابه ويتفاعل معها ويضيفها إلى محصوله اللغوي، فالقصة هي الحياة في شكلها اللغوي، واللغة والألفاظ في وجودها الاجتماعي.

لذلك فالقصة نص يضج بالمعنى بالنسبة للطفل فهي كالغذاء له الذي يمده بالمفردات والجمل التي يضيفها إلى قاموسه اللغوي فتزداد حصيلته وتتطور لغته، وبالتالي يزداد تواصله مع الآخرين ويتفاعل مع البيئة المحيطة به تفاعلاً إيجابياً يستطيع من خلاله أن يوظف تلك الكلمات والألفاظ التي اكتسبها، فتزداد ثقته بنفسه ويكبر مفهومه لذاته من خلال فهم الآخرين له وتلبية حاجاته ورغباته.

ومن المعروف أن القصة لا يقتصر دورها على تنمية اللغة عند الطفل، بل تتعدى ذلك إلى أن يصبح عند الطفل طلاقة لغوية من خلال شغفه بالقراءة وإقباله عليها، فالقصة بألفاظها السهلة وكلماتها البسيطة ومضامينها الرائعة ومخاطبتها لعقل الطفل تجعله يقبل عليها بكل شغف ويعتقد أن كل ما يقع بين يديه يشبه القصة فيقرأه بحماس، فتنمو لغته وتتطور لديه مهارات الكتابة لأنه يريد أن يوظف هذه العبارات والكلمات التي اكتسبها فيصبح كاتباً بارعاً في المستقبل.

لذلك يجب علينا كمربيين أن نحسن اختيار مضمون القصة أولاً، ونتحرى اختيار الألفاظ التي تناسب عقل الطفل والمرحلة العمرية التي يمر بها فمضمون القصة واللغة التي صيغت بها سواءً كانت بالفصحى أم العامية تؤثر على لغة الطفل، فمن الواضح أن اللغة العربية الفصحى إذا تم استخدامها بكثرة في قصص الأطفال فإنها تؤدي إلى أثر طيب وواضح على لغة الأطفال في اكتسابهم للغة وفي تركيبهم للعبارات والجمل فيصبح الطفل أكثر دقة وإتقاناً لمهارات اللغة، بعكس اللغة العامية أو المحلية فإنها تنمي مهارة الاستماع أكثر من تنميتها لمهارة التحدث،

وهي لا تثري محصوله اللغوي ولا تزيد من مفرداته بالقدر الكافي الذي يؤهله لتكون لديه طلاقة لغوية، فالطفل العربي يعيش في ازدواجية لغوية وهي الفصحى والعامية وتختلف الآراء في معالجة هذه النقطة، ولكن أغلب الباحثين يتفقون على استخدام لغة مبسطة تجمع بين الفصحى والعامية ولا تطغى العامية عليها وإدخال المأثور الشعبي والطرائف في النص.

كيف تختار القصة المناسبة لطفلك؟

1- أن يكون حجم القصة مناسب لأعمار الأطفال، من حيث عدد صفحاتها وترتيبها وتنسيقها مع الاهتمام بإخراج القصة بالصور المناسبة للأطفال.
2- أن تكون حروف الطباعة واضحة، مع توضيح الألوان وانسجامها سواء في العناوين الرئيسية أو الجانبية، وكذلك تنسيق الفقرات مع مراعاة المسافات وعلامات التشكيل والترقيم والتنقيط وكذلك طول السطر.
3- ملائمة التصميم الفني للغلاف وموضوع الكتاب، وأن يلفت هذا التصميم انتباه الأطفال على أن يتضمن الغلاف، عنوان الكتاب، أسماء المؤلفين، الطبعة وتاريخها، والجهة التي أصدرته، وأن لا يتمزق الغلاف بسرعة.
4- أن تكون القصة بسيطة بحيث يمكن للطفل استيعاب أفكارها.
5- أن تلاءم القصة واقع الطفل وخبرته المحدودة.
6- أن تكون ألفاظها سهلة ليستطيع الطفل حفظها بسهولة.
7- أن تتناسب مع الجو الاجتماعي للطفل.
8- أن تتوافق مع التعاليم الدينية والإسلامية.
9- أن تكون متسلسلة الحوادث.
10- ألا تتضمن القصة المواقف المزعجة والمخيفة.

وهناك عدد من الأمور المهمة التي يجب أن نتبعها عند رواية القصة للطفل لما لها من عوامل جذب للطفل وهي:

1- عدم إجبار الطفل على سماع القصة.
2- إشراك جميع الأطفال أثناء قراءة القصة.
3- التركيز على كل جزئية في القصة واستخلاص الدروس المستفادة.

4- التأكد من تركيزهم أثناء قراءة القصة وعدم شرودهم.
5- سؤال الأطفال عما استفادوه من القصة.
6- إثارة انتباه الأطفال وشدهم من خلال التغيير في نبرات الصوت.
7- اختيار مكان مناسب ومحبب للأطفال.
8- إشراك الأطفال في اختيار القصة التي يريدون قراءتها.
9- عرض صور القصة عند قراءتها حتى يستطيعوا ربط الألفاظ بالصور.
10- تمثيل أدوار الشخصيات في القصة.